وتدخّل «بر توما» بتهذيب قائلاً:

ـ بمقدورنا التفكير في حلول أفضل من هذا. أفلا يُشكِّل رهط من التجّار المُلْحِمين الملتفّين في الطيالس وآذانُهم مثقلةٌ باللآلىء والزمرّد استفزازاً ودعوة إلى النهب والقتل؟

أطرق الكاهن مفكّراً. لقد كان بودّه الذهاب بنفسه مع الذين يُرشدون الطوائف الأخرى. بيد أنه إذا كان هؤلاء «الساسانيون» مُعادين حقّاً لمختلف الديانات فإنه يخشى أن يزيد حضوره من سُعارهم.

ظلّ «ماني» صامتاً طَوال تلك المناقشات، محتبِساً داخل ذاته وغائباً بحيث كان الآخَران قد نسياه تقريباً. وربما كانا يقدِّران أنّه غريب جدّاً عن هذه المشاغل الدنيوية. وعليه فقد دهشا تماماً لرؤيته فجأة يأخذ في الكلام بأبسط نبرة:

ـ أنا هو الذي سيذهب للقاء الأمير.

وأجفل «مالكوس»:

ـ آه، لا، لا، وعلى الأخصّ أنت!

وأخذ يبحث عن حجّة مقبولة تحجب ردّ فعله العفويّ جدّاً.

ـ أنت أيضاً رجل دين، وقد وصلتَ لتوّك فوق ذلك إلى هذه المدينة، فكيف تستطيع الكلام باسمها؟

استأنف «ماني» وكأنه لم يسمع ما قيل:

ـ أنا من (بابل)، أفليس من الحكمة أن يكون المتكلّم باسم هذه المدينة من رعايا «الساسانيين»؟ وأن يخاطبهم بلغة يفهمونها؟

وألحف «مالكوس» في التوسّل، فما زالت ماثلة لعينيه صورة ذلك الضابط الذي كان يطوف بمنزله.